# المدارس النحوية عند العرب: البصرة والكوفة

بقلم:يوسف عبد الرحمن لوهوليما

Dosen Fakultas Ilmu Tarbiyah dan Keguruan IAIN Ambon
Emal: ucuabdurrahmanyagmail. com

**Abstrak:**

Bahasa Arab merupakan wadah bagi wahyu Allah swt. (kitab Suci Al-Qur'an Al-Karim), yang diturunkan kepada Nabi Muhammad Saw. Dari segi gramatikal (ilmu nahwu), ia mengalami perkembangan yang sangat pesat, seiring dengan gaya bahasa Al-Qur'an Al-Karim yang merangkum dialek-dialek Arab fushha. Dalam kajian ilmu nahwu, ada dua Mazhab Nahwu yang sangat terkenal, yaitu; Mazhab Bashrah dan Mazhab Kuffah. Mazhab Bashrah lebih mengandalkan Qiyas, sedangkan mazhab Kuffah menonjolkan periwayatan.

**Keyword:** *Belajar, strategi kognitif.*

## مقدمة

فإن اللغة العربية هي معجزة الله اختصر بها العرب دون سائر شعوب الأرض لتكون وعاء لكتابه الكريم الذى أنزله على رسوله الأمين قانونا سماويا لينظم للناس أمور حياتهم ومعيشتهم فى عالم الشاهدة، ليفوزوا بالنعيم والثواب فى عالم الغيب عملا بقول الله تعالى: وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم (سورة إبراهيم:آية:4). والدليل على أن اللغة العربية معجزة إلهية وليست من وضع البشر كغيرها من سائر لغة العالم، أن لغات الشعوب جميعها قد توصل علماء اللغات إلى معرفة كيفية نشوئها وتطورها إرتفاقا وانحطاطا ومن أسهم فى تطورها حتى انتهت إلى ماهي عليه الآن. أما اللغة العربية فلم يقف أحد حتى اليوم على طريقة نشأتها وماذا كانت بدايتها وكيف تطورت حتى أصبحت لغة للتخاطب والتفاهم بين العرب.[1] وكذالك مايراد من كلمة"مدرسة" أو "مذهب" حين يقال فى علوم اللغة العربية: مدرسة البصريين أو مذهب الكوفيين؟

إن نظرة فاحصة فى دراسات المحدثين تقودنا إلى الشك فى بعض ما عدوه من المسلمات إنسحابا على أذيال بعض القدماء ممن تكلم فى النحو والنحاة.

لقد أراد هؤلاء التصنيف على البلدان فقالوا: "نجاة البصرة" و "نحاة الكوفة" حين ألفوا فى الطبقات، فساق هذا —مع تساهل كبير- إلى أن قيل فيما بعد: "مدرسة البصريين" و"مدرسة الكوفيين".

قد حان الوقت لتصحيح هذه التسمية فالأقدمون ومن تأثر بنظرتهم من المحدثين جعلوا البصريين أهل القياس لأن من ضبطه منهم كثيرون جدا ولهم فيه عناية بالغة. على حين عدوا الكوفيين أهل سماع لأنهم سجلوا

[1].صلاح راوای, النحو العربی, المصر: دار غریب,,2000 , ص,3.

عليه وقد اقتصد سأله: ما أهديت لى يا أبا عثمان
قال: "أطرف شيئ: كتاب سيبويه بخط الكسائ
من الفراء" إلى غير ذلك من الأخبار التى إن صدقتها
فإنما على العصبية البلدية ظاهرة، وإن ذهبت إلى
تزيد فيها أو التزيد فيها فالدلالة أظهر.

وإلى لم يختلف نحاة المصريين تبعا لاختلاف سياسة
أخذ بها فليس للسياسة تأثير مباشر فى ذلك، وإنما كان
مثل استجابة للعصبية ليس غير:

أنشئت البصرة والكوفة على عهد عمر بن
الخطاب، وانقضت سنون من عهد عثمان والمصران
في البلد الواحد ولبعض القبائل جماعات فى كل منهما،
وكان الشغب أيام عثمان أسهم العراقيون فيه وآلت
الأمور إلى قتل الخليفة والفتن المتلاحقة بعد أن انضم
البصريون فى وقعة الجمل إلى عائشة وطلحة والزبير وانضم
الكوفيون إلى علي، وكانت الملحمة بينهمان واستحر
القتل، وكان لكل فريق مجزرة هائلة في الفريق الآخر.

فمن ثم العداوة والتخاصم والتنافس بين البلدين.
وانقضى عهد القلاقل خلف فى اذهان الفريقين
مفاخرا وأدبا ووقائع تذكر بالفخر تارة وبالوجعية تارة
أخرى. فهذا ما ولدت العصبية والتنافس بين وفود
البصريين ورجالاتهم فى الأسمار ومجالس الأمراء.

ولئن كانت احداث سياية خاصة هى المفرقة
فإنها إنها تطورة مع الزمن وتحول اتجاها، حتى تبلورة فى
سياسة للبلد.[3]

## مدرسة البصرة وعلمائها

[3]. نفس المرجع, ص, 80-82

كلما سمعوا، وأراغوا القياس عليه فلم يحكموه إحكام
الأولين وإن أربوا عليهم فى السماع مقدارا لا ضبط
وجودة.[2]

## أسباب الإختلاف بين نحاة المصريين

جرى بعض الباحثين قديما وحديثا على رد
الخلاف النحوى بين هذين المصريين العربيين إلى
السياسة، وهو رأى سطحي لايثبت عند التدقيق: فأهل
النظر فى كل فن تتباين أنظارهم كثيرا دون أن يكون
للسياسة أو غيرها فى ذلك أثر، وإنما هو الإجتهاد
المحض، وهؤلاء المصريين يختلفون – فيما بينهم – اتجاها
واجتهادا فى مسائل كثيرة. نعم ربما كان للسياسة أثر ما
فى ميل الأمراء العباسيين إلى الكوفيين لكن هذا شيئ
وتوجيه الفن إلى اتجاه خاص شيئ آخر.

أما هذه الأحداث التى كانت تكون بين كوفى
والبصرى فى قصور الحكام فنوع من الدفاع عن القوت
أولا، وميل إلى العصبية البلادية آخرا. ولا تظن أن ما مر
بك من تباغض بينهم كان يصرف بعضهم عن الإنتفاع
بعلم بعض، وحسبك أن تعلم أن الفراء مات "وتحت
رأسه كتاب سيبويه" وأن الكسائ وهب للأخفش
خمسين دينارا لقراءته كتاب سيبويه عليه، وأنه "سلخ
كتابه فى معانى القرآن من كتاب الأخفش" وأن الجاحظ
لما عدد مفاخر البصرة على الكوفة قال: "وهؤلاء يأتونكم
بفلان وفلان وسيبويه الذى اعتمدتم على كتبه وجحدتهم
فضله" ولما اشترى الجاحظ كتاب سيبويه من ميراث
الفراء رآه أثمن ما يهدى إلى محمد بن الملك الزيات، فلما

[2]. سعيد الأفغانى , من تاريخ النحو, بيروت: دار الفكر, 1398هـ, ص, 3-4.

وذلك أن ما اختلفوا فيه وتباينت فيه الروايات لايحول أبدا دون الإعتقاد بأن أبا الاسود صاحب الأسبقية فى وضع الضوابط النحوية، إذ سواء لحنت ابنته أمامه، أم لحن قارئ فى آية من آيات القرآن، وسواء كان إقدامه بإشارة من أمير المؤمنين على أم من غيره.

والأرجح أنها منه — وسواء طلب إليه زياد أن يضع للناس أصولا تقيهم اللحن أم استأذن هو زيادا فى أن يضعها...فإن النتيجة فى كل ذلك واحدة وهي أن أبا الأسود هو الذى بدأ التنفيذ العملى لوضع تلك القواعد، وهى وضع رموز الحركات الإعرابية — كانت من صنعه وأنه أول معلم للنحو وصل إلينا خبره.

2. المرحلة الثانية: مرحلة تلاميذ أبى الأسود

ويمثل هذه المرحلة تلاميذ أبى الأسود أمثال عنبسة الفيل وميمون الأقرن ونصر بن عاصم ويحيى بن يعمى، وهم الذين قيل فى تراجمهم إنهم أخذوا عنه وجلسوا للتعليم بعده.

3. المرحلة الثالثة

ويمثل هذه المرحلة تلاميذ أبى الأسود، كأبى عمرو بن العلاء (المتوفى سنة:154) وكان قد أخذ عن نصر بن عاصم، وكعبد بن أبى إسحاق الحضرمى (المتوفى سنة: 117) وكان قد قرأ على يحيى بن يعمر.

4. المرحلة الرابع

يمكن أن نرد أسباب وضع النحو البصريين على بواعث مختلفة، منها:

1. الدينى

أما البواعث الدينية فترجع إلى الحرص الشديد على أداء نصوص الذكر الحكيم أداء فصيحا سليما إلى أبعد حدود السلامة والفصاحة، وخاصة بعد أن أخذ اللحن يشيع على الألسنة.

2. قومى عربى

يرجع إلى أن العرب يعتزون بلغتهم اعتزازا شديدا، وهو اعتزاز جعلهم يخشون عليها من الفساد حين اختلطوا بالأعاجم، مما جعلهم يحرصون على رسم أوضاعها خوفا عليها من الهلاك فى اللغات الأعجمية.

3. إجتماعية

ترجع إلى أن الشعوب المستعربة أحسنت الحاجة الشديدة لمن يرسم لها أوضاع العربية فى إعرابها وتصريفها حتى تتمثلها تمثلا مستقيما، وتتقن النطق بأسالبها نطق سليما، وكل ذلك أسباب متشابكة (المسلسلة) دفعت دفعا إلى التفكير فى وضع النحو.[4]

ولعلنا نستطيع أن نوجز المراحل التى مربها النحو البصرة فيما يلى:

1. المرحلة الأولى: مرحلة أبى الأسود الدؤلى

[4]. مهدى المخزومى, مدرسة الكوفة,مصر: مصطفى البابى الحلبى 1377هـ, ص.66

الإختلاف والتنافس بين البصرة والكوفة، فكان من نتائج هذا التنافس أن كانوا يتناظرون في مجالس الخلفاء، حين تجتمع وفودهم فى دواو ينهم. وكان الخلفاء يستمعون بهذا النوع من المناطرات، وربما ظاهروا فريقا على فريق، لأسباب تدعوهم إلى ذلك.

وتناولت هذه المناظرات نواحي عدة، ومن بينها الناحية الثقافية. ومن هذه الناحية مناظرتهم في النحو. وكانت التنافس بين نحاة الكوفة ونحاة البصرة شديدا في عهد الكسائي وسيبويه[7]. بل إنه الكسائي هو الذي فتح الأبواب الخلاف على أستاذه سيبويه. حيث كان عالما بلغات العرب، وكان ثاقب الذهن، حاد الذكاء، فخالف سيبويه في كثير من المسائل التي تابعه فيها الكوفيون. كما اتخذوا من أرائه قبسا للإهتداء به فيما نقدوا إليه من أرائه أعدت لقيام المدرسة الكوفية. ولوكان ذلك فقد باتعه الكسائي في كثير من أرائه منها:

1. جواز تأكيد عائد الصلة المحذوف والعطف عليه، نحو: جاء الذي ضربت نفسه، أي ضربته نفسه. ونحو: جاء الذي كلمت وعمرا، أي كلمته عمرا.
2. زيادة "من" الجارة في الإيجاب. نحو قول الله تعالى: "ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الفرحمن عتيا"، "ولقد جاءك من نبأ المرسلين".
3. جواز إعمال "إن" إذا لحقتها "ما" الكافة. نحو: إنما زيدا قائم.

السلطان، واستتارا من عيونه، كما فعل سفيان الثورى وغيره.

وربما اتخذ بصريون من الكوفة مستقرا ومقاما أيضا، لأن الكوفة – فضلا عن أنها كانت مركزا سياسيا لأمصار الشرقية فترة طويلة من الزمن. كانت مركز الفقه والحديث والقراءة. فليس غريبا إذن أن تنتقل هذه الدراسة من البصرة إلى الكوفة، إما مع الذين شدوا الرحال من الكوفة إلى البصرة طلبا للعلم، ثم رجعوا إلى الكوفة، وإما مع الذين هاجروا من البصرة ليتخذوا من الكوفة دار إقامة.

وكان التنافس بين هذين المصريين شديدا. والخلاف محترما من عدة نواح:

1. من الناحية الحزبيةن فالكوفة: علوية والبصرة عثمانية
2. من الناحية العنصرية، فأكثر أهل الكوفة من اليمانية، وأكثر أهل البصرة من المضريين.
3. من الناحية العلمية، فأهل الكوفة أصحاب فقه وحديث وقراءة، وأهل البصرة أصحاب العلوم والفلسفة، لأنهم أكثر إختلاطا بالأجانب من أهل الكوفة، وأكثر حرية فى اعتناق المذاهب المختلفة، وأسرع إلى الأخذ من الثقافات الأجنبية. لتوافر مصادرها عندهم وكثرة انتقلاتهم للكسب والتجارة

والكوفة-مع ضعف الإتصال بين عناصرها العربية وعناصرها الأجنبية أكثر تخرجا من أهل البصرة فى الأخذ بثقافات الأجانب لكثرة من فيها من الصحابة والتابعين ومن الفقهاء وأهل الدين. هذه العوامل أحكمت أسباب

[7] مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة، ص: 66,

في النحو كتاب "الفيصل" وأنه أول كتاب صنف
نحو الكوفة.

الطبقة الثانية

الكسائي

هو أبو الحسن علي بن حمزة، مولى بنى أسد، وهو
فارسي، ولد بالكوفة سنة تسع عشرة ومائة
جرة، وقد سئل عن تلقيبه بالكسائي فقال: لأنني
ت في كساء.

أكب منذ نعومة أظفاره على حلقات القراء،
ل: سليمان بن أرقم-راوي قراءة الحسن البصري-،
بكر شعبة بن عَيَّاس-راوي قراءة عاصم بن أبي
صرهود و سفيان بن عيينة ,راوى قراءة عبد الله بن
لوم-، ثم لزم حلقة حمزة بن حبيب الزيات حتى حذِق
ان ماهرا) قرائته. وظل يقرئ الناس قراءة حمزة حتى
حاق رحيله إلى بغداد، ثم اختار لنفسه قراءة، صارت بعد
) و إحدى القراءات السبع المتواترة.

ب و الطبقة الثالثة

ظها الأحمر

هو أبو الحسن علي بن الحسن – وقيل ابن
ارك- وبه جزم الخطيب البغدادي – المعروف بالأحمر.

رحمن كان أبو الحسن رجلا من الجند، يعمل حارس
ف على باب الرشيد، وكان يحب العربية، ولا يستطيع
مجلس الكسائي إلا في غير أيام نوبته، فكان يرصده

4. من معاني "لعل" التقليل. كما في قول الله تعالى: فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى.
5. "لولا" قد تأتي بمعنى "هلا". كما في قول الله تعالى: " فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها"[8]. وسيأتي بيانه الواضح عن الإختلاف بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة، إن شاء الله.

## أعلماء الكوفة

ويريد الباحث أن يختصر الطبقات التي مر بها النحو الكوفة فيما يلي:

1- الطبقة الأولى

أ- معاذ الهراء

هو أبو مسلم معاذ بن مسلم الهراء، لقب بالهراء لبيعه الثياب الهروية، مولى مُحَمَّد بن كعب القرظي، أقام بالكوفة، واشتغل مع ابن أخيه الرؤاسي بالنحو. عمل مؤدبا لأولاد عبد الملك بن مروان، لم يوقف له على مصنف في النحو.

ب- الرؤاسي

هو أبو جعفر مُحَمَّد بن الحسن، مولى مُحَمَّد بن كعب القرظي، لقب بالرؤاسي لكبر رأسه، نشأ بالكوفة. وورد البصرة فأخذ عن عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء، ثم قفل إلى الكوفة حيث اشتغل بالنحو مع عمه معاذ بن الهراء. تتلمذ عليه الكسائي والفراء، ذكر ثعلب أنه

[8] صلاح رواي، النحو العربي، ص: 183.

في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين" أن الإختلاف بينهما عددها مئة وعشرون مسألة. وأراد الباحث أن يعرض هذا الخلاف قطعة من قطع منها:

1- الإختلاف في أصل اشتقاق الإسم

ذهب الكوفيون إلى أن الإسم مشتق من "الوسم" وهو العلامة. وذهب البصريون إلى انه مشتق من "السمو" وهو العلو.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا لإنه مشتق من "الوسم" لأن الوسم في اللغة هو العلامة، والإسم وسم على المسمى، وعلامة له يعرف به، ألا ترى أنك إذا قلت: "زيد" أو "عمرو" دل على المسمى، فصار كالوسم عليه؟ فلهذا قلنا: أنه مشتق من "الوسم".

ولذلك قال أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب: الإسم سمة توضع على الشيء يعرف بها. والأصل في "اسم": "وسم" إلا أنه حذفت منه الفاء التي هي الواو في "وسم" وزيدت الهمزة في أوله عوضا عن المحذوف، ووزنه "اعل" لحذف الفاء منه.

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنه مشتق من "السمو" لأن "السمو" في اللغة هو العلو، يقال: "سما يسمو سموا". إذا علا، ومنه سميت السماء سماء لعلوها. والإسم يعلو على المسمى، ويدل على ما تحته من المعنى، ولذلك قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: الإسم ما دل على مسمى تحته. وهذا القول كاف

في طريقه إلى الرشيد كل يوم فإذا أقبل تلقاه. صنف الأحمر مقاييس التصريف، وتفنن البلغاء، وكان من المتآمرين لكسب المناظرة بين الكسائي وسيبويه لصالح الكسائي.

ب- الفراء

هو أبو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله بن مروان الديلمي، مولى بني أسد، وأبوه زياد الأقطع، حيث قطعت يده في الحرب مع الحسين بن علي، وكان مولى لأبي ثروان، وأبو ثروان مولى بني عبس.

ولد الفراء بالكوفة سنة اربع وأربعين ومائة للهجرة من أصل فارسى وقد سمي بالفراء لأنه كان يفري الكلام أي يقطعه، ويفصل القول فيه وهو عالم بعلوم عصره المختلفة، وتعمقه في علوم القراءات، والفقه، وحذقه علوم اللغة والنحو حتى قيل عنه: أمير المؤمنين في النحو[9].

ومدرسة الكوفيين لها المصادر التي عني النحاة الكوفيين بالاخذ عنها وهي: (1) القران الكريم, (2) و الشعر الجاهلى والاسلام, (3) والفصحاء من العرب, (4) والامثال وما جرى مجراها من عبارات قصيرة حفظها الاستعمال, (5) والشواهد.

## الخلاف بين البصريين والكوفيين في النحو

كما ذكر كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن أبو الوفاء بن عبيد الله الأنباري في كتابه "الإنصاف

[9] صلاح رواي، النحو العربي، ص: 386-402.

تخرت مدرسة الكوفة عن مدرسة البصرة تقريبا
سنة, لان علماء الكوفة قد اشتغلوا أنفسهم بعلم
ه, والحديث, والقراءات, والادب, ورواية الشعر, في
ت الذي اشتغل فيه علماء البصرة بعلوم اللغة,
جو, والكلام, والفلسفة, والمنطق. وأنشئة البصرة
كوفة علي عهد عمر بن الخطاب, وانقضت سنون من
ه عثمان والمصران كالبلدان الواحد ولبعض القبائل
عات في كل منهما, فلما كان الاضطراب أيام عثمان
م العراقيون فيه, والت الامور إلي قتل الخليفة والفتن
لاحقة بعد أن انضم البصريون في وقعة الجمل إلي
شة وطلحة والزبير, وانضم الكوفيون إلي علي وكانت
حمة بينهما, وكان لكل فريق مجزرة هائلة في الفريق
خر, وفي مجال النحو, كانت التنافس بين نحاة البصرة
ة الكوفة شديدا في عهد الكسائ وسيبويه, بل إنه
سائ هو الذي فتح الابواب الخلاف علي أستاذه
يه, حيث كان عالما بلغات العرب.

## قائمة المراجع


ح راواى, النحو العربى, المصر: دار غريب,,2000

د الآفغانى , من تاريخ النحو, بيروت: دار الفكر,
1398ه

ى المخزومى, مدرسة الكوفة,مصر: مصطفى البابى
الحلبى, 1377ه

ى ضيف, المدرسة النحوية, القاهرة: دار المعارف,
1968م

المبارك, النحو العربى, بيروت: دار الفكر, 1981م.


في الإشتقاق، لا في التحديد، ولما سما الإسم على مسماه وعلا على ما تحته من معناه، دل على أنه مشتق من السمو، لا من الوسم.

2- الإختلاف في رافع المبتدأ ورافع الخبر

ذهب الكوفيون إلى أن المبتدأ يرفع الخبر، والخبر يرفع المبتدأ، فهما يترافعان، وذلك نحو: "زيد اخوك" و "عمرو غلامك". وذهب البصريون إلى أن المبتدأ يرتفع بالابتداء، وأما الخبر فاختلفوا فيه: فذهب قوم إلى أنه يرتفع بالابتداء وحده. وذهب الآخرون إلى أنه يرتفع بالإبتداء والمبتدأ معا. وذهب آخرون إلى أنه يرتفع بالمبتدأ والمبتدأ يرتفع بالإبتداء.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إن المبتدأ يرتفع بالخبر والخبر يرتفع بالمبتدأ لأنا وجدنا المبتدأ لابد له من الخبر، والخبر لابد له من المبتدأ، ولا ينفك أحدهما من صاحبه، ولا يتم الكلام إلا بهما، ألا ترى أنك إذا قلت "زيد أخوك" لا يكون أحدهما كلاما إلا بانضمام الآخر إليه.

فلما كان كل واحد منهما لا ينفك عن الآخر ويقتضي صاحبه اقتضاء واحدا عمل كل واحد منهما في صاحبه مثل ما عمل صاحبه فيه، فلهذا قلنا: إنهما يرتفعان، كل واحد منهما يرفع صاحبه، ولا يمتنع أن يكون كل واحد منهما عاملا ومعمولا.